مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد الثالث يناير ٢٠٢٠م

هيئة التحرير

المشرف العام

د. الوليد إبراهيم مصطفى موسى

رئيس التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

نائب رئيس التحرير

د. صالحة سيد أحمد عبد الله

المحـــررون:

د. عبد الله الطيب علي أحمد

أ. أبو القاسم علي محمد عقيد

أ. مهند إسماعيل قسم الله

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي
أ.د. كباشي حسين قسيمة إسماعيل
أ.د. طلحة عبد الحميد الحسن
أ.د. الزهور حسن الماهل
أ.د. مهيد محمد المتوكل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتي
أ.د. علي أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن
أ.د. كمال عبد الله المهلاوي
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
د. أبو القاسم خليفة التهامي
د. أحمد محمد زين
د. رحاب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. محمود محمد أحمد علي عثمان

قواعد النشر:

* تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدَّمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
* ألاَّ يكون البحث قد نشر أو قيد الدراسة للنشر في أية دورية أو مجلة علمية أخرى.
* ألاَّ تكون الورقة جزءً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
* يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بنط ١٤ بمسافة واحدة.
* يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
* ألاَّ تزيد عدد الصفحات عن (٢٠ صفحة) (٧٠٠٠ كلمة) باللغة العربية ويرفق ملخص للبحث لا يزيد عن (١٠٠ كلمة) باللغة العربية.
* مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
* تُوضع إحالات المراجع داخل النص (المنهج الأمريكي) ومن ثم تأتي تفاصيل المراجع كالآتي:

– اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.

– في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية، المجلد أو العدد، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.

حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص٢٣٠– ٢٤٨.

– بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير – دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.

عبد الرازق، فائز أحمد ، ٢٠٠٨م ، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

* تُعرض البحوث المقدَّمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريَّة تامة.

* للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.
* تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.
* تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.
* الأفكار الواردة في المجلة تعبِّر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.
* يتم دفع رسوم وقدرها سبعة ألف جنيه للبحوث بالداخل، وخمسون دولاراً للبحوث بالخارج بغرض التحكيم.
* البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.
* ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني الآتي : jruofd2018@gmail.com

أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ – ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	صفحة
هيئة التحرير		ب
مستشارية التحرير		ج
قواعد النشر		د
محتويات العدد		و
كلمة العدد		ز
جهود الخليفة عبد الرحمن الناصر في بسط سلطان الدولة الأموية في الأندلس في الفترة من 300-344هـ(904- 948م)	أ. د. أبوبكر محمود أحمد إسماعيل	١
أبرز جهود العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم	أ.د. طارق عثمان الرفاعي	٢٢
من معالم الرفق في الدعوة (ترك ركن أو شرط من العبادة للمشقة)	د. أحمد النعمة محمد النعمة	٤٢
الحجاج التكارنة في السودان حسب مشاهدات الرحالة بوركهارت والآخرين	د. الأمين عثمان شعيب الحاج د. محمد المصطفى أبو القاسم	٦٣
تأصيل علم اجتماع المعرفة	د. نجلاء عبد الرحمن وقيع اللَّه	٧٧
الدليل التاريخي والآثاري للمسيحية في جزيرة مروي	د. محمد البدري سليمان بشير	١١٦
المفاهيم العقدية وأثرها في تحقيق الوسطية	د. عبد اللَّه الطيب علي أحمد	١٣٩
النظام القضائي في دولة الفور الإسلامية ١٦٤٠-١٨٧٤م	د. مكاوي علي أحمد خاطر	١٦٣
نظرية الكفاءة الذاتية المُدركة: "أرقى نظريات المنحى الاجتماعي المعرفي"	د. عثمان فضل السيد أحمد فضل السيد	١٨٣
المركز الوطني للمناهج بدولة تشاد – النشأة والتطور والرؤية المستقبلية	د. مجدي محمد مانيس أبي د. أبو بكر علي كوري	٢١٢
الأحكام الفقهية المتعلقة بوباء كورونا وأثرها على العبادات	د. رندا حسن عبد الرحمن	٢٢٨
أدب التخاطب في القرآن الكريم – دراسة موضوعية	د. مزمل محمد عابدين محمد	٢٤٦

كلمة العدد

قراءنا الأعزاء ..علماءنا الأجلاء...

يطيب لنا أن نحييكم بطلعة عددنا الثالث وللعام الثالث من عمر مجلتكم العلمية (التأصيل)، وقد تفتَّقت ثقوب المعرفة في العالم من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه بالأفكار والنظريات والتيارات لتقدح في علماء الأمة الإسلامية زند الاجتهاد والبحث في شتى المجالات ولتؤكد أصالة المعرفة في أصول دينها وثقافتها ولتميط التغبيش بدواعي التهميش عن عقول علمائها وباحثيها الذين ما فتئوا يُخرجون في أعمالهم العلمية ما يواجهون به إلحاح الأسئلة وشغف التساؤل في موضوعيةٍ ومنهجيةٍ للمعرفة لا تنكرها العقول المتجردة ولا الأفهام المتحررة من عصبية التعالي المعرفي ..

فيجيء هذا العدد الثالث وهو يحمل من كل فنٍ بحثاً وفي كل بحثٍ فوائد وفرائد نسعد في هيئة تحرير مجلة التأصيل أن تجد من تطلعاتكم المعرفية ما تُؤَمِّلون، ومن اهتمامكم النظر المستفيض، ومن آرائكم النقد العلمي الجريء، وفي ذلك تعزيزٌ لمسيرة هذه المجلة في طلعتها المتجددة بحول الله تعالى ..

إن هيئة التحرير تجدد العهد بالعمل المخلص والمثابر للتَّطلُّع للتحسين دوماً أملاً في الريادة العلمية واستشرافاً لِجِدَّة المعارف وخلاصة العلوم وذلك من خلال التحكيم العلمي عبر هيئة استشاريةٍ من أكفاء العلماء في شتى أبواب العلوم والمعارف. كما لا تقصر همتها عن مواكبة التطور في الإخراج حتى تنال المجلة رضى الجميع بمشيئة الله تعالى. والله الموفق.

هيئة التحرير

الحجاج التكارنة في السودان حسب مشاهدات الرحالة بوركهارت والآخرين

د. الأمين عثمان شعيب الحاج(*)

د. محمد المصطفى أبو القاسم إسماعيل(*)

مستخلص البحث:

هدفت هذه الدراسة الوقوف على ارتياد الطرق التي سلكها الحجاج التكارنة من موطنهم الأصلي بالسوداني الغربي قاصدين الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج وتبعات هذه الرحلة، تتمثل مشكلة البحث في الطرق التي سلكها التكارنة وميزة كل طريق ومن هم سالكيه، استخدم الباحثان في الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي والمنهج الاستقرائي، توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها ما يلاقيه الحجاج التكارنة في رحلتهم هذه من مصاعب ومتاعب والتغلب عليها بالعزيمة والإصرار.

مقدمة:

الحمد للَّه والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد: لا يخفى ما للحج من آثار عظيمة في تهذيب النفوس وتذكيتها، قال تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)(الحج: ٢٧). أي أن يتقاطر الناس على البيت من كل فج، رجالاً يسعون على أقدامهم في حالة الفقر والعدم، أو ركباناً على وسيلة تنقلهم في حالة الغنى والقدرة على اقتنائها. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)(مسلم، د.ت، ج٢، ٩٨٣) ومن أجل هذا قام أهل السودان الغربي بتحمل المشاق والصعاب لتحقيق غاية من أسمى الغايات وأنبلها وهي أداء فريضة الحج.

ساعد موقع السودان الجغرافي كمعبر للأراضي المقدسة في دخول عدد من أبناء غرب ووسط إفريقيا المسلمين الذين دخلوا بغرض المرور للحجاز لأداء فريضة الحج، والمقصود بغرب إفريقيا بلاد السودان الأوسط والغربي التي تمتد من دارفور شرقاً حتى ساحل المحيط اللأطلنطي غرباً التي عرفت ببلاد التكرور. فكان اهتمام بوركهارت بهذه الطائفة من الزنوج المسلمين

(*) كلية الآداب والدراسات الإنسانية جامعة دنقلا

(*) الأستاذ المشارك بجامعة النيلين كلية الآداب قسم التاريخ

(التكرور) والطرق التي يسلكونها من بلادهم يقصدون فيها مكة المكرمة للحج وطلباً العلم عبر مرافئ البحر الأحمر الثلاث: مصوع أو سواكن أو القصير.

من هم التكارنة:

يقول بوركهارت:( ) الحجاج أو الزنوج أو التكارنة (واحدهم تكروري) وليس اسمهم هذا نسبة إلى بلد تكرور كما يتبادر إلى أذهان القوم في الشرق كما ظنَّ جغرافيو العرب جميعاً خطأ، ولكنَّه مشتق من الفعل تكرر (أي تنقَّى) بمعنى أن مشاعرهم الدينية تنقَّت وتطهَّرت بحفظ القرآن وبالحج، ويطلق هذا الاسم على جميع الزنوج القادمين من الغرب – مهما اختلفت أوطانهم – طلباً للعلم أو سعياً إلى بيت اللَّه الحرام. وهم لا يسمون أنفسهم تكارنة حتى يبلغوا إقليم دارفور(بوركهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢١).

يبدو أن الرحالة بوركهارت لم يكن موفقاً في نسبة لفظة تكرور إلى التكرُّر بمعنى الطهر والنقاء، ونظراً لما يتمتعون به من تقوى وورع وصدق وأمانة، فلا نجد هذه الكلمات مستعملة في اللغة العربية لتدل على هذا المعنى، بل لا نجدها تطلق على أي شعب أو جماعة إسلامية تتحلى بتلك الصفات. وما كان ينبغي له إهمال الجانب التاريخي للإسم ورفض آراء من سبقه من الرحالة والمسافرين والجغرافيين والمؤرخين دون إيراد أدلة مقنعة.

من المرجح أن المصطلح (تكرور) نسبة إلى مدينة تكرور التي ربما نشأت كعاصمة للشعب الفولاني في بلاد سنغامبيا منذ الألف الأول قبل الميلاد(برايما ماري، ٢٠٠٠م، ٣٢٣). ومما يؤكد أن مصدر المصطلح غير ما ذكر

( ) يوهن لودفيك بركهارت (١٨٤٠–١٩٠٥م) Johann Ludwig Burckhart ويسميه الإنجليز "جون لويس": مستشرق سويسري رحالة. ولد في لوزان. ودرس في ليبسيك وغوتنجن في ألمانية. وزار انجلترة سنة ١٨٠٦ ودرَّس في لندن وكمبردج. وتجنس بالجنسية الإنجليزية. ورحل إلى حلب (بسورية) فتعلم العربية وقرأ القرآن وتفقه بالدين الإسلامي. وزار تدمر ودمشق ومصر وبلاد النوبة وشمالي السودان، ثم مضى إلى الحجاز مسْلماً أو متظاهرا بالإسلام وتسمى بإبراهيم ابن عبد الله، فأدى مناسك الحج وقضى بمكة ثلاثة شهور، ثم عاد إلى القاهرة (سنة ١٨١٥) وقد أخذ منه الإعياء كل مأخذ. وفي السنة التي بعدها زار سيناء وعاد إلى القاهرة في يونيه (١٨١٦) وكان يعتزم السفر إلى فزان، ليبدأ منها رحلة جديدة للاستكشاف، ولكنه مرض وتوفي في القاهرة، موصيا بمجموعة مخطوطاته إلى جامعة كمبردج. وكتاباته كلها تدور حول رحلاته. كرحلة للشام والأراضي المقدسة، و "رحلة لجزيرة العرب" و "معلومات عن البدو والوهابيين" و "رحلة للجزيرة مع مذكرات عن حياة البدو". وقد تولت الجمعية الإفريقية بانجلترة نشرها. وله بالعربية " أمثال عربية – ط " مع ترجمتها إلى الإنجليزية. انظر الزركلي، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٤–٢٦٥

بوركهارت أنَّه جاء بأشكال مختلفة على ألسنة الشعوب الإفريقية الأخرى والعربية كالتكرور والتكارير (على وزن شناقيط نسبة لعاصمتهم شنقيط... وسناهير ومناصير)، فالأصل هو (التكرور)، والتكارنة والتكارين والدكرور كما في مصر، حيث أطلق على بولاق بولاق الدكرور، وهم قبائل الفولاني أو الفلاتا وموطنهم الأول السنغال، ويبدو أن أسباباً حضارية وثقافية ميزت هؤلاء الفلاتا مما جعل الناس يطلقون على كل سكان غرب إفريقيا مصطلح التكرور أو التكاريز. وبذات الفهم فقد امتد ذلك حتى عصرنا الحديث، إذْ نجد أن الناس يطلقون كلمة فلاتا على القادمين من الغرب الإفريقي بدلاً عن تكرور لذات الأسباب. وحتى البرنو والبرقو والباقرما والهوسا صاروا ينتسبون ويصنفون ضمن الفلاتا مع أن الفلاتا هم الفولان. وهم التكرور بخاصة بعد قيام دولة مالي الإسلامية حتى قيام وازدهار الخلافة الصكتية (١٨٠٠-١٩٠٣م) ونلحظ أن السلطان محمد بيلو في كتابه (إنفاق الميسور) القول بمصطلح تكرور(محمد بلو، ١٩٦٤م، ٣).

عن لفظة تكرور فقد قال عنها ابن خلكان: إنهم جنس من السودان وهم لا ينتسبوا إلى أب ولا أم وإنَّما اسم للأرض التي هم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم(الناصري، د.ت، ج٢، ١٠٣؛ السلاوي، د.ت، ج٥، ١٠٣). وتكْرُورُ: براءين مهملتين: بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج(الحموي، ١٩٩٥، ج٢، ٣٨؛ محمود، ٢٠٠٦م، ١٦١). وتكرور: مدينة في بلاد السودان بلغت من الشهرة شأواً عظيماً، وهي مدينة لا سور لها، وأهلها مسلمون وكفار، والملك فيها للمسلمين(القزويني، د.ت، ٣٥). وقد ورد اسم تكرور في مصادر مختلفة كـ تكرور ودكرور وتكارير وتكارين وتكارنة وتكاررة(أبو القاسم، ٢٠١٦م، ٤٠٣).

ويجدر بنا أن نذكر أن هنا أن كثيراً من الرحالة والجغرافيين تحدثوا عن التكرور قبل زيارة بوركهارت كالإدريسي والقزويني من بعده(القزويني: ١٩٦٠م، ٢٦). ومنذ بداية القرن التاسع عشر تقريباً نجد مصطلح "تكرور" صار يطلق على أهل ودَّاي وبرنو وباقرما وكتكو ومندرة مع اختفاء المصطلح بمدلوله الشايع(التونسي، ١٩٦٥م، ١٣٤).

نلحظ أن بوركهارت يصف التكارنة بأنهم زنوج، وهم ليسو زنوجاً، بل جنس من السودان. وقد زار بلادهم ابن بطوطة قد وصفهم بأنهم سودان، لأن مصطلح (تكرور) لم يكن معروفاً لديهم في مالي. في حين أن أهل الشرق كانوا يطلقون على منسا موسى (١٣١٣–١٣٣٨م) سلطان تكرور(ابن بطوطة، د.ت، ٦٠٠–٦٢٤؛ Al-Nagar, 1972, 5-6).

يمكننا أن نستنتج أن المسلمين القادمين من بلاد السودان الغربي من مواطنهم سواء من مالي أو السنغال أو نيجريا أو سواها لأداء فريضة الحج عبر الطرق التي يسلكونها من دارفور لا تطلق عليهم صفة تكروري إلا بعد بلوغهم منطقة السودان الشرقي.

يصف الرحالة جيمس بروس التكارنة بأنهم: (يميلون للتجوال أكثر من أيّ شعب آخر، لذلك فهم منتشرون في إفريقيا وآسيا، ويعرفون بعض القراءات. وهم من المسلمين المتشدِّدين. والفقراء منهم يقومون – وهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج – بكتابة التعاويز التي تحمي الإنسان من الحسد والخوف، وتجعله موفقاً في حجه، وهؤلاء التكارنة أكثر شعوب السودان تمدُّناً. وهم يميلون إلى معاشرة الغرباء. وهذه ظاهرة قلما توجد في الشعوب الإفريقية الأخرى) (Bruce, 1904, vol.3. 368 ؛ نسيم مقار، ١٩٩٥م، ١٨).

صفوة القول أن التكرور هو اسم لشعب كبير من القبائل الحامية أسس مملكة إفريقية قديمة جداً امتدت من غرب السودان إلى سواحل بحر الظلمات في أراض شاسعة تزيد عن مساحة الجزيرة والعراق والشام معاً. ضمت تلك المملكة أراضي المناطق المعروفة اليوم سياسياً بالسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد وصولا إلى حدود دارفور في السودان. ويذهب بعض المؤرخين، خاصة العرب منهم، إلى إن اسم تكرور هو اسم لمدينة على نهر السنغال الحالي وكانت عاصمة مملكة التكرور(ابن خلدون، ١٩٨٨م، ج٢، ٤٩٥–٤٩٦؛ المقريزي، ١٤١٨هـ، ج٤، ٢٦٠؛ القلقشندي، د.ت، ج٥، ٢٧٥).

يبدو إن المهاجرين الزنوج من بلاد السودان الغربي والأوسط (التكارنة) الذين يقصدون الحج يختلفون في أعمارهم ومستوى تعليمهم والأعمال التي يمارسونها لتعينهم على الوصول إلى أهدافهم قبل وبعد أداء فريضة الحج.

فئة منهم تعمل في مجال التجارة بأنواعها المختلفة أو الزراعة، ومنهم من يواصل الدراسة في الخلاوي، والبعض منهم يتزوج وينجب الأطفال من العوائل أو الأسرة التي قطن بمدنها أو قراها ويعود إلى بلاده بكامل أسرته. ومنهم من لا يفكِّر في العودة أصلاً بهدف المجاورة.

وصف عام لعتاد الحاج التكروري:

وبعض تكارنة دارفور وكردفان على شيء كثير من اليسار، وهم يتاجرون في أثناء رحلتهم. على أن أكثرهم يُعد من الفقراء، وهم يخرجون في رحلتهم إلى مكة ومنها يعودون إلى أوطانهم ولا مورد لهم إلا ما يجود به الخيرون وما يكسبون بعرق جبينهم في الطريق. وعتاد الحاج منهم – وهو لا يتغير – خرق يئتزر بها حول الخاصرة، وعمامة صوفية بيضاء ، وجراب من الجلد يحمله على عصا طويلة فوق كتفه، وكيس من الجلد يحتوي على كتاب للصلوات أو نسخة من بعض سور القرآن، ولوح من الخشب طوله قدم وعرضه ست بوصات يكتب عليه الصلوات ليحفظها، ومحبرة مصنوعة من قرعة صغيرة ، وقدح يشرب به الحاج أو يجمع فيه الطعام من المتصدقين، ووعاء صغير من الفخار للوضوء، ومسبحة طويلة من الخرز تتدلى في طيَّات كثيرة حول عنقه(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٢).

يمكننا القول أن الرحلة الطويلة التي يقطعها الحجاج التكارنة من بلاد السودان الغربي بهذه الصفات مروراً بمناطق قد يختلف فيها المناخ والظروف البيئية تعرضهم للأوبئة والأمراض التي ربما تفتك بالبعض منهم لقلة ملابسهم ويهلك عدداً منهم جوعاً وإعياءً ويقتل بعضاً منهم، على الرغم هذه الحوادث لكنها لم تفت في عضدهم أو تثنيهم عن هدفهم، ويعتبرون من مات في هذه الرحلة شهيداً في سبيل اللَّه.

طرق الحج التي سلكها (التكارنة):

يعتبر بوركهارت أكثر الرحالة الذين تميزوا بوصفهم الدقيق لهذه الطرق والقوافل التي تأتي من بلاد السودان الغربي إلى دارفور وكردفان ومنها إلى بلاد السودان الشرقي حتى موانى البحر الأحمر ومنها إلى أرض الحجاز. فيصف لنا الطرق التي يسلكها هؤلاء الحجيج التكارنة من دارفور بقوله: (يسير التكارنة عادة في جماعات من ستة أشخاص ثم ينضمون إلى قافلة من

القوافل كيفما اتفق، أو يمضون في الرحلة في هذه الجماعات وهم يذهبون إلى مكة بطريق أسيوط أوطريق سنار أو طريق شندي)(بوركهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٢).

وقد ازدادت شهرة إقليم دارفور وإقليم رأس الفيل (القلابات) على الحدود السودانية الإثيوبية بسبب حركة التجار والحجيج. فإقليم دارفور – بحكم موقعه الجغرافي – حلقة وصل بين بلاد التكرور وبلاد السودان الشرقي ومنه تتجه القوافل شرقاً وشمالاً. وكان طبيعياً أن يكون إقليم دارفور أول أقاليم السودان الشرقي التي تأثرت بهجرات التكارنة لأسباب اقتصادية ودينية واجتماعية مما أدى إلى قيام مستوطنات لهم، فقد أورد الرحالة براون أثناء رحلته في الفترة من (١٧٩٢–١٧٩٨م) أنَّه شاهد بعض التكارير كالفلاتا والبرنو وغيرهم ضمن سكان دارفور، وأضاف أن تلك العناصر تشمل الحجيج والتجار وطلاب العلم (الفقراء) وغيرهم (Browne, 1806: 269 325) ويقول التونسي بوجود الفلاتا بأعداد كبيرة في شرق وجنوب دارفور(التونسي، تشحيذ الأذهان، ١٣٧).

ومن جانب آخر، فمنذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ظهر في إقليم رأس الفيل جماعة من التكارير يعتقد بأنهم هاجروا إليه من منطقة رأس الفيل بالقرب من جبل مرة قبل عام ١٧٤٤م، ويقول جيمس بروس أن مدينتي شلقا ورأس الفيل (القلابات) على الحدود السودانية الإثيوبية يديرهما أو يمتلكهما أجانب مسلمون(Bruce, 1904: vol. p.327) وهم التكارير.

ويبدو من كلام كرافورد ونعوم شقير أن تكارير رأس الفيل (القلابات) من تكارير دارفور، كالكنجارة والبرنو والتكارنة (شقير: ١٠٢؛ Krawford, 1951; 92).

ومن المؤكد أن هؤلاء التكارير انتقلوا من موطنهم الأصلي في غرب إفريقيا إلى دارفور، ثم اتجهوا شرقاً لأداء فريضة الحج وأسسوا مستوطنات لهم على الحدود السودانية الإثيوبية، وصارت القلابات من أهم مستوطناتهم، وقد وصفهم كرافورد بأنَّهم: سود الألوان إلا أن سوادهم ليس كسواد الزنوج(Krawford, 1951; 72) أما براكينز M. Barkyns الذي زار إثيوبيا في أربعينيات القرن التاسع عشر، فذكر أن حجاج البرنو من دار سلا من

أوائل التكارير الذين استقروا بالقلابات. إلا أن الحجاج من تكارير الفور استقروا معهم وبتكاثر أعداد الفور مما شجع زعيمهم الشيخ ميري على قيادتهم ضد البرنو فأجلوهم وانتقل البرقوا إلى مكان آخر(M. Barkyns, 1853. vol. 2. 237).

بالإضافة إلى هؤلاء فكان كثير من الرحالة الذين سجلوا زياراتهم إلى مدينة القلابات مثل باركنيز وكراف وبيكر وهنري دوفتني ورسام العراقي أكَّدوا أنَّ سكان القلابات من التكارير الذين مروا بالإقليم في طريقهم إلى الحج من دارفور ثم عادوا واستقروا به بعد أداء الفريضة وامتهن أغلبهم زراعة القطن. وبتزايد أعداد الحجاج التكارير عبر السنين اكتسبت المدينة مكانة دينية واقتصادية واستراتيجية استلفتت انتباه الأتراك فأقاموا بها الحصون والقلاع ووضعوا بها الحاميات العسكرية منذ عهد خورشيد باشا (١٨٢٦-١٨٣٢م) وازدهرت فيها مشيخة التكارير حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث ظلت تمثل نقطة التقاء كل طرق السودان الشرقي ومنها تتجه قوافل الحجاج إلى قندار الإثيوبية ومنها إلى موانئ البحر الأحمر.

الطريق الأول- طريق دارفور أسيوط:

يعرف هذا الطريق بدرب الأربعين، وكان السير بين آباره يستغرق أربعين يوماً. ويبدو واضحاً من خلال النقوش أن هذا الطريق كان مستخدماً منذ العصر الفرعوني بمصر وقد استمر استخدامه حتى القرن الماضي، بل ما زال مستخدماً من قِبَل تُجَّار الإبل القادمين من كردفان وغيرها إلى مصر(صالح، ٢٠١١م، ٧١-٧٢). يشير بوركهارت إلى أن التكارنة الوافدين من أقصى الغرب يلتقون في دارفور ، ثم يقصد أسيوط القادر منهم على تكاليف الرحلة في قافلة دارفور، وتتطلب الرحلة من المال ما يكفي لشراء الزاد والإبل التي يستلزمها سفر الصحراء. والرحلة من أسيوط إلى جدة بطريق القصير(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٣).

نفهم من ذلك أن غالبية الذين يسلكون هذا الطريق من علية القوم وساداتهم الذين يملكون من المال والوسائل ما يمكِّنهم من قطع هذه المسافات الطويلة عبر الصحراء.

الطريق الثاني – من كردفان إلى سنار:

الحجاج الذين يذهبون عن طريق سنار يأتون من كردفان ويسلكون ثلاثة طرق هي: طريق سنار، الحبشة، غوندار، أكسوم، مصوَّع: فيبدأ هذا الطريق من سنار مخترقاً أرض الحبشة ماراً بغوندار وأكسوم ينتهي عند ميناء مصوع، ويشكو الحجاج التكارنة معاملة الأحباش المسيحيين لهم، إذْ يقدمون لهم الطعام في عتبة الباب – أي مدخل الباب – كأنهم كلاب على حد تعبيرهم. ويقدَّر عدد الحجاج الزنوج (التكارنة) المارين بهذا الطريق يتراوح ما بين مائة وخمسين إلى مائتين حاج سنوياً. وملتقاهم عند الحديدة باليمن، ومنها يتخذون طريقاً برياً إلى أن يصلوا مكة(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٣). أما طريق سنار – التاكا – الحلنقة – سواكن: متفادين بذلك رحلة الصحراء ، فيسلك الحجاج التكارنة القادرين على الاشتراء في شراء جمل يحمل الماء والزاد. أو عبر طريق النيل من سنار إلى شندي.

هو أقدم طرق الحجيج التكارير التي ظلوا يسلكونها منذ دخول الإسلام تلك البلاد، وقد ذكر مستشرق زار السنغال عام ١٨١٦م أن هناك طريقاً يصل السنغال بمكة(التونسي، د.ت، ٤٤-٤٥). فهذا الطريق هو الذي يمر ببلاد البرنو وكوكا وباقرما وودَّاي حتى يصل إلى دارفور وكردفان ثم السير شرقاً ناحية سنار فالقلابات ومنها إلى داخل إثيوبيا حتى ميناء مصوع.

الطريق الثالث – من دارفور أو كردفان إلى شندي:

يصف بوركهارت أن هذا الطريق يسلكه الحجاج التكارنة أكثر من غيره ، والطريق ميسور، فهم – أي التكارنة – أينما ساروا في أرجائه وجدوا الجود والكرم من قوم يفخرون بالتصدق على الحجاج والفقراء. ومن شندي يتجهون جميعاً إلى الدامر ، والطريق بين شندي والدامر قلَّما يكون خالياً من أفواج الحجاج التكارير. فيتألف الفوج من ستة حجاج أو اثني عشر حاجاً. فمن الدامر يتفرع طريقان رئيسان لحجاج التكارنة، فأما أن يتقدمون على جانب النيل تجاه مصر. أو يتجهون شرقاً ويسيرون على ضفاف نهر عطبرة حتى قوز رجب ومنها إلى التاكا ثم إلى وسواكن. ويصف الطريق الأول الذي يتجه إلى مصر مشيراً إلى ما يلاقيه التكارنة من كرم المصريين مقارنة بينه وبين الطريق الثاني بقوله: "إن الطريق الأول طويل ولكن أقل مشقة، كما أنهم

كلما اقتربوا من مصر كلما ازداد ما يصادفونه من كرم وسط سكان النيل. ويتعرض التكارنة لنهب الشايقية وممتلكاتهم البسيطة ، تكون في مأمن من دارفور إلى شندي حيث تتولى الحكومة حمايتهم، ولكن من شندي يبدأون في التعرض لمعاملة مختلفة، ففي أثناء وجودهم في شندي يستبدلون عادة كل ما يملكونه بالذهب الذي في استطاعتهم أن يخبئوه بكل سهولة أكثر من أي سلعة أخرى. ولكن الناس عرفوا عنهم هذه العادة. فبدو عطبرة والتاكا وكذلك الشايقية يقومون بتفتيشهم تفتيشاً دقيقاً بحثاً وراء ما يحملونه من ذهب، ولا يتركون وسيلة إلا ويستخدمونها لسلب ما معهم من مال بسيط أو ذهب قد يكون لديهم. ويعوض الشايقية نهبهم لهؤلاء التكارنة بأن يسلكوا معهم مسلك الكرم، أما بدو عطبرة والتاكا يضيفون إلى شرههم للغنيمة شحاً وبخلاً على الطارق، لذلك يلقى المسافرون المساكين منهم نصباً شديداً وعنتاً كبيراً(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٤).

أما الطريق الثاني الذي يتفرع من الدامر فيصفه بوركهارت بقوله: إن الطريق الذي يطرقه الحجاج الزنوج (التكارنة) أكثر من غيره هو من الدامر سيراً مع المقرن حتى التاكا. ومنها إلى سواكن. ويبلغ عدد الذين يسلكون منهم هذا الطريق حوالي خمسمائة شخص. فإنهم لا يسافرون أبداً في جماعات كبيرة، ولكن تجد القليل منهم يمر عبر ضفاف النهر. وفي الدامر يبتاع القادرون منهم الحمير ويحملونها بالذرة لذادهم في الطريق. ومن التاكا يتقدمون مع القوافل إلى سواكن. ويصف انتقال هؤلاء التكارنة بعد وصولهم إلى سواكن بحراً إلى جدة، مشيراً إلى ما قد تصادفهم من مشكلة دفع أجرة الانتقال بالسفينة لظروفهم المالية الصعبة، وكفاحهم الشاق من أجل التغلب عليها قائلاً: "وفي سواكن ينتظرون سفينة تنقلهم إلى جدة. والأجرة المعتادة تتراوح بين دولار ودولارين. وقد يحدث في حالة إصرار صاحب السفينة على مبلغ دولارين أجرة، أن تترك جماعة التكارنة سواكن بعد أن تكون قد وصلت إليها، الفائدة (الفارق) يقطعون مسافة تستغرق ثلاثين يوماً على الأقل، وهم يعوضون نفقات تلك المسافة عن طريق العمل والاستجداء. ويعلق على ذلك بقوله: "أن المسافة نادراً ما تدخل في حساب أولئك الحجاج أو بدو تجار هذه البلاد. فهم لا يكترثون بالتعب إلا قليلاً، وكذلك الحال بالنسبة

للوقت. شيء واحد فقط يجذب انتباههم، هو الفائدة المباشرة وتجنب التكاليف(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٣٢٨).

يصل التكارنة إلى الحجاز عن طريق المرافئ الثلاثة: مصوّع، وسواكن، والقصير. هؤلاء التكارير الذين يأتون عن طريق سنار والحبشة إلى ميناء مصوع، يكونون كلهم من الفقراء المعدمين. ومبلغ دولار واحد يكفى لنقل هؤلاء المعدمين من مصوّع إلى ساحل اليمن، وهم غالباً ما ينزلون فى ميناء الحديّدة. وفى الحديدة ينتظر أولئك التكارير وصول أعداد كبيرة من أبناء جلدتهم ، لكى يشكل الجميع قافلة صغيرة ، ثم يبدأون بعد ذلك فى الصعود إلى جبال اليمن الممتدة بطول الوديان الخصبة التى يسكنها عرب كرماء يستجدونهم مصاريف الطريق إلى جدة أو مكة. هؤلاء الفقراء المعدمين إذا ما أثرى الواحد منهم وأصبح فى حوزته دولارين، استطاع أن ينتقل بهما من مصوع إلى جدة مباشرة، حيث يلتقون فيها مع أبناء جلدتهم الذين يكونون قد وصلوا إلى جدة عن طريق القصير. هؤلاء التكارنة يؤجرون أنفسهم فور وصولهم إلى جدة أو مكة؛ بعض منهم يعمل شيّالا فى نقل البضائع والقمح من السفن إلى المخازن، وبعض آخر يعمل فى تنظيف الأحواش، وجلب الحطب من الجبال المجاورة، وأهل جدة ومكة يعتمدون اعتماداً تاماً على هؤلاء التكارنة فى جلب ذلك الحطب. فى مكة يصنع هؤلاء التكارنة مدافئ ووجارات صغيرة من الطين، بعض آخر من هؤلاء التكارنة يصنع سلالا صغيرة، وحصيرا من سعف النخيل، وبعض رابع من هؤلاء الزنوج يخدم فى مجال السقاية، بمعنى أنهم يعملون سقائين وجالبى مياه. خلاصة القول: إنه فى حال الاحتياج إلى العمل اليدوى يجرى جلب تكروني من السوق للقيام بهذا العمل. هؤلاء التكارنة إذا ما مرض أحدهم سهر رفاقه على رعايته وقسموا مصروفاته فيما بينهم. وأنا لم أر أحداً من هؤلاء التكارنة يستجدى الناس إحساناً، اللهم إلا باستثناء الأيام الأولى لوصوله، أى قبل تمكنه من الحصول على العمل. ومن مكة يسافر هؤلاء التكارنة إلى المدينة (المنورة) بطريق البحر من ميناء ينبع، وفى المدينة المنورة يعمل هؤلاء الناس فى جلب حطب الوقود أيضاً(بوكهارت، ٢٠٠٧م، ٢١-٢٢).

مخاطر الطرق:

أشار كثير من الرحالة إلى حالات النهب والسلب والقتل والاغتيال بخاصة في المنطقة الحدودية ما بين سنار وإثيوبيا، وفي منطقة نهر عطبرة. كمقتل السفير الفرنسي لدى دمياط المسبو لانوار ري رول عام ١٧٠٥م في المنطقة ما بين سنار وقندار (شقير، ١٠٧–١٠٨) وذكر بروس أن تجار سنار كانوا يسافرون إلى القلابات عبر الصحراء تحاشياً لحاكم عطبرة الذي كان يمارس عمليات النهب والسلب ضد التجار، وخوفاً من بعض القبائل كالبازا وقطَّاع الطرق الأحباش (الشِفتة) (Bruce; 1904: vol. 3. 359). ويتحدث براون عن اغتيال داعية نصراني مصري بين سنار والقضارف وهو في طريقه إثيوبيا(Brwone; 1806 17). أما بوردكهارت فيذكر أن أحد المصريين النصارى جاء من مصر واغتيل في الطريق ما بين بربر وسواكن، كما تحدث عن حالات اغتيال أخرى إلا أنه عزا ذلك إلى أنهم لم يستخدموا طرق القوافل(بوركهارت، ٢٠٠٧م، ٢٤٠–٢٤٢) لكن هذه الأحداث لا تعني أن طريق الحج غير آمن، فالتكارير يختلفون عن التجار والمسافرين في أنهم لا يمتلكون مالاً أو سلعاً تجارية، إلا أن بعض الحجاج يتأثرون بما يحدث من نزاعات وحروب بين الدول. فالرحالة سولت (Salt) تحدث عن اثنين من حجاج دارفور قابلهما في دكساني بإثيوبيا في مايو عام ١٨١٠م فطلبا منه السماح لهما بمرافقته إلى مصوع، وذكرا له أنهما عانا كثيراً لأنهما لم يسلكا الطريق المعروف عبر سنار؛ بل اتخذوا طريقاً يمر بجنوب سنار نظراً لحرب اندلعت بين سلطنة الفور ومملكة سنار(Salt, 1914, 86).

ومن معاناة الحجاج التكارير عدم تمكنهم من امتلاك المال الذي يلبي احتياجات رحلتهم الطويلة، فعلى سبيل المثال فقد رأى بوركهارت خمسين حاجاً من التكارير تركوا ميناء سواكن وقفلوا راجعين جنوباً عبر إقليم التاكا ليسافروا عن طريق ميناء مصوع؛ وذلك لأن صاحب المركب طلب منهم قيمة مضافة وهي ريالين عن كل حاج وهم لا يملكون سوى ريال لكل واحد منهم(بوركهارت، ٢٠٠٧م، ٤٠٦).

هذا الحال من الفقر والعوز هو الذي اضطر أولئك التكارير إلى العمل في مجالات كثيرة ليحصلوا على القوت الضروري على الأقل. وبالإضافة إلى ذلك

فإن الحجاج التكارير – كغيرهم من الحجاج السودانيين – كانوا يعانون من ازدحام الحجاج في مراكب لا تسع أعدادهم، مما جعل الرحالة ابن جبير يصفها كأنها أقفاص الدجاج المملوءة، وكل ذلك حرصاً على جمع المال، ونقل لنا عن أصحاب تلك السفن ترديد قولهم: علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح(ابن جبير، ١٩٥٥م، ١٤).

وقد تمتد حالة الفقر هذه لسنين طويلة مما يضطر الحجاج للبقاء في دارفور أو سنار أو على الأقل زمناً طويلاً ثم يؤدي الفريضة ومن ثم يبدأ مشوار العودة إلى بلده، وقد يمتد المشوار إلى سنين أيضاً، وربما يتم خلالها مصاهرة العناصر المحلية بدءً من دارفور وحتى كردفان وسنار وإثيوبيا. وقد يعود الحاج بأسرته وأطفاله إلى غرب إفريقيا بعشرات السنين أو يجاور مكة والمدينة أو يستقر في السودان الشرقي أو إثيوبيا بشكل نهائي.

خاتمة:

ختاماً يمكننا التعرف من خلال هذا العرض الطرق التي وصفها بوردكهارت ورحالة أُخر للحجاج التكارنة على كيفيه الوصول إلى هذه الطرق وعلى من يرتادها وكيف كان هؤلاء القوم يسيرون في مجموعات من بلدانهم إلى دارفور، وبعدها يسلك المستطيع وميسور الحال وما تتوافر له الدواب والزاد طريق درب الأربعين من دارفور قاصداً أسيوط، ومنها إلى مرفأ القصير ومنه إلى جدَّة. أما من يسلكون الطريق الثاني من كردفان إلى سنار ثم الحبشة حيث مرفأ مصوع فكانوا قلة وذلك لِما يلاقونه من مصاعب داخل بلاد الحبشة المسيحية، ولا يقصدها إلا من تجبره ظروفه المادية لذلك. أما الذين يسلكون طريق كردفان شندي فكانوا هم الغالبية الغالبة من الحجيج التكارنة فمنها يمرون إلى الدامر ويسلكون طريق التاكا سواكن. نستنتج من ذلك أن الوسائل التي استخدمها هؤلاء الحجاج تتمثل في السير على الأقدام، أو استخدامهم للدواب المتمثلة في الجمال والحمير، أو ركوبهم على المراكب والسفن.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن بطوطة، (د.ت) تحفة النظار، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
2. ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، (١٩٥٥م)، رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، مصر.
3. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (د.ت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. المقريزي، تقي الدين ١٤١٨هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت.
5. بوركهارت، جون لويس (٢٠٠٧م)، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
6. بوركهارت، جون لويس (٢٠٠٧م) ، ترحال في الجزيرة العربية، ج٢، ترجمة صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١.
7. محمود، حسن أحمد (٢٠٠٦م) الإسلام والثقافة في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة.
8. الزركلي، خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس، (٢٠٠٢م)، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، ط ١٥.
9. السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (د.ت) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج٥، دار الكتاب، الدار البيضاء.
10. الحموي، شهاب الدين أبو عبد اللَّه ياقوت بن عبد اللَّه الرومي (١٩٩٥م) معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت ط٢.
11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (١٩٨٨م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ج٢ ، دار الفكر، بيروت، ط٢.
12. ماري، عثمان برايما (٢٠٠٠م)، جذر الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، ط١.

13. صالح، عوض صالح عوض (٢٠١١م)، طرق الحج وأثره على مملكة الفونج الإسلامية في الفترة (٩١٠-١٢٣٦هـ/ ١٥٠٤-١٨٢١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم ، الخرطوم.
14. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (١٩٦٠م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.
15. التونسي، محمد بن عمر (د.ت)، رحلة إلى ودَّاي، تحقيق ودراسة عبد الباقي محمد كبير، الخرطوم.
16. بلو، محمد بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (١٩٦٤)، القاهرة : دار ومطابع الشعب.
17. أبو القاسم، محمد مصطفى (٢٠١٧م) دور طرق الحج في دعم علاقة سنار بغرب إفريقيا، ضمن أوراق المؤتمر العلمي الثاني لسنار عاصمة الثقافة الإسلامية، الأمانة العامة بالتعاون مع جامعة النيلين، سنار: المدينة – الدولة – الحضارة، قاعة الصداقة، الخرطوم، ٣١ مايو – ١ يونيو ٢٠١٦م.
18. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (د.ت) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19. نسيم مقار(١٩٩٥م)، الرحالة الأجانب في السودان (١٧٣٠-١٨٥١)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط١.
20. Browne، W.G. (1806) Travels in Africa، Egypt and Syria from the year 1792 to 1798، second edition، London.
21. Henry Salt. (1914) Voyage to Abyssinia, and travels in the interior of that country in the years 1809-1810. London.
22. James Bruce. (1904) Travels to Discover of the Nile، In the Years 1768،1969،1970،1971،1972. London.
23. Mansfield Parkyns (1805) Life in Abyssinia: Being. e. Notes Collected During Three Years، Residence and Travels in that Country. 2vols. London
24. Krawford، 1951; The Fung Kingdom of Sinnar. Glaucester.
25. Umar Al-Nagae، 1972; The Pilgrimage Tradition In West Africa، Khartoum.